



عبدالله مسلم الدرازي

العراق : فسيفساء المحنة

سابقا لصالح المطلق الذي عاد للبرلمان بلا شروط تذكر. من الناحية الاقتصادية نورد مؤشرين فقط. الأول صعود قيمة الدينار العراقي أمام الدولار بنسبة تتجاوز ١٤٪ خلال هذا العام. والثاني نجاح الحكومة العراقية في إرساء مزايده رخص الهواتف النقالة، بشروط يبدو أن الحكومات المستقرة العربية الأخرى عجزت عن تحقيقها. ولنا ان نسال: كيف يمكن أن تغامر شركات عريقة في مجال الاتصالات بإستثمار ما يقارب من اربعة مليارات دولار نقدا في الحصول على رخصة التشغيل في بلد لم يتوقف فيه سيل الدم حتى اللحظة؟ فهل أتى بها الهدف القاتل ليونس محمود؟ كأن تقديرات التيار الصدري، ومحاولات علاوي، ومماحكات التوافق، تسحبهم من حيث لا يشعرون خارج الحلبة. نعم، التحالف مع الحزبين الكرستانيين ليس بلا شروط. لكن هل من دليل على ان توافقات العقلاء أقل قيمة وفائدة من إنجازات الحمقى، إن وجدت؟ كم من الشعارات تفتأ تدميك ايها الوطن، ومتى كانت الوطنية حكرا على من يبسوا أضرع الوطن.

من الناحية الاقتصادية

نورد مؤشرين فقط.

الأول صعود قيمة

الدينار العراقي أمام

الدولار بنسبة تتجاوز

١٤٪ خلال هذا

العام. والثاني نجاح

الحكومة العراقية في

إرساء مزايده رخص

الهواتف النقالة،

بشروط يبدو أن

الحكومات المستقرة

العربية الأخرى عجزت

عن تحقيقها

والمحاصصة والإرضاء على المالكي. جماعة علاوي، هي الأخرى، كأنما يجمعها مع التوافق، الرهينة فيما يبدو لبقايا النظام المقبور ووحوش القاعدة، نعم كأنما يجمعها توليفة السعي وراء «العرش المفقود» و«الملك المضاع». هذا في حين يغيضهما هذا الذي لا يكاد يبين، نوري المالكي. فيما يتعلق بتيار المدينة «المقدسة» تقم لوهلة بسيطة لقطة سريعة من الكونجرس الأميركي: كم من هؤلاء الذين نراهم تزيد نسبة السواد في شعره عن ١٥٪ من كامل الشعر؟ وكم هم كذلك في مجلس الدوما الروسي ومجلس الشعب الصيني والعموم البريطاني؟ في مثل هذه الأمة، ربما تكون هناك فلتات أو معاجز إلهية، لكن أن يكون كل هؤلاء كذلك فذلك صعب مستصعب. حتى حالة سيد المقاومة، التي لا يمكن ان يقاس بها الآخرون لما يملكه السيد من علم وحكمة وسعة صدر وشجاعة ووعي وتواضع، لم تات من فراغ أو صدفة. السيد حفظه الله نتاج معاناة وصياغة ذاتية وتربية وتفقه غزير. ولايكاد أن يختلف أثنان، داخل المدرسة التي ينتمي لها السيد خصوصا، على مثل حالته. وهي حالة، قبل كل ذلك، تستند لمرجعية رشيدة سديدة معروفة، فضلا عن كون السيد وكيلا مأمونا لأكثر من مرجع. إذا، أين هذا من هذا؟ لكن أين من يفتأ عين الفتنة؟ كأن الحال حاله، وكم في الحلق من شجى؟ بتقديرنا أن حكومة المالكي، كما يبدو من التطورات الأخيرة، قد خرجت من غرفة الإنعاش وان ما يحيط بها الآن ليس سوى آلام الجراحة. فهذا كاوبوي تكساس، وخلال أقل من يومين يتراجع عن تصريحاته السلبية تجاهها، فيما تعتذر الدبلوماسية الفرنسية العتيدة، في سابقة فريدة، عن تدخلها السافر في شئون العراق الداخلية. وهذه حادثة كربلاء ترد وبالا على من قام بها، رغم كل ما أتت به من خسائر بشرية ومادية. بل تأتي بإقرار، ربما يكون ضمنا، بالأخطاء الكبيرة التي كانت تُتكر دائما وجود الإختراق البعثي للتيار المعصوم المقدس. وهذه جنازة قائد صحوة الأنبار تخرج الآلاف وراءها، متوعدة الإنتقام من زمر القاعدة التكفيرية. وهذا الشمري في الموصل يعلن التحالف العشائري الواسع لمحاربة أزام القاعدة، على قاعدة الإرتباط بالحكومة لا بالمثل. وهذا الخبير علي بابان يتمرد على فرمانات التوافق ليعلم أن العراق أولا، تاليا او

بعد الحديث المكثف، طوال السنوات الأربع الماضية عن «ميليشيات القتل الطائفية»، أصبح هؤلاء بين ليلة وضحاها- في خطاب البعض- من الوطنيين المناضلين الشرفاء. ما حدا مما بدا؟ السبب بسيط: التيار الصدري خرج من قائمة الإئتلاف، وهكذا ازليت عنه العلامة المسجلة «الطائفية». بينما الشعب العراقي يتوق للقمة العيش، ولفسحة صغيرة من أمان، يأتيه الإنتصار الأكبر: خروج التيار الصدري من قائمة الإئتلاف. هكذا يتجمع الوطنيون الشرفاء في خانة واحدة: جماعة التوافق، التيار الصدري، وجماعة علاوي. وللعلم: علاوي هو الفتى المكروه جدا من التيار الصدري، والسبب أحداث النجف التي قطع الطريق فيها عليهم عن الإستيلاء على المدينة. من جهة أخرى، جماعة التوافق يرون في التيار الصدري بؤرة ما يسمونه «ميليشيات القتل الطائفي». جماعة التوافق عمودها الرئيس الحزب الإسلامي العراقي، الذي بعد إقصاء قياداته التاريخية صار مطلبه الرئيس إشراف حزب البعث «العربي الإشتراكي» في العملية السياسية. وهنئيا لهذا الفصل الأصيل من التيار الديني إكتشافاته المذهلة الجديدة، التي يبدو أنه استساغها في اكثر من موقع. في المقابل، من المطالب الرئيسية للتيار الصدري، الذي يقال ويشاع وربما يبدو- أنه مخترق بعثيا، من مطالبه تصفية البعثيين، بكافة فئاتهم ودرجاتهم الحزبية وأيما كان سبب إئتئاءهم لحزب البعث ومدى ولاؤهم للقائد الضرورة، وعدم الحوار معهم. ومن مؤاخذاته على الحكومة الحالية أيضا، والتي يزعم دعمها، فتح باب المصالحة الوطنية والحوار مع بعض فئات البعثيين، لما فيه دعم العملية السياسية وسبل الإستقرار للبلد النجريح. من مؤاخذاته أيضا أن الحكومة لم توفر الخدمات للشعب المظلوم. وللعلم أيضا ان من هذه الخدمات الصحة والنقل، اللتان شرفتا بوزيرين يبدو أنهما جمعا بين خصلتين حميدتين: نقص الكفاءة والخبرة، إضافة ل«حسمان» أو فنقل الإعتكاف. ومن نافلة القول التذكير بأنهما ينتميان للتيار المقدس، حيث فرضتهما معادلات القوة



سامية حسن

ماذا لو استحمت الحكومة؟

نعرف أن درجات الحرارة ترتفع صيفا، وليس للحكومة أي ذنب في ذلك. لكن، كلما ارتفعت الحرارة انخفض وزننا، وسالت وجوهنا كالماء، وبالتالي اضطررنا للاستحمام مرة تلو المرة حتى نشعر ببعض التماسك والانتعاش، لكن يبقى أماننا واقع التقنين المبرمج للكهرباء لهذه الصيفية، والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه: متى نستحم؟... قبل، أو بعد انقطاع الكهرباء؟، لأننا متى انقطعت الكهرباء، سنتحول من جديد إلى بركة من الحر، ويخرب مزاجنا ونهارنا من جديد، ويمتد إلى كل شيء، وللحكومة ذنب في ذلك المزاج المخروب، لكن ما عليه، هذا هو الافتراض من انقطاع الكهرباء. ماذا لو انقطع الماء؟! بجة الترشيح أو التقنين، فلا بد حينها أن يكون السؤال: كيف نستحم، وبماذا؟ هل تيممنا؟، ونفرك بالتراب؟.. وللحكومة ذنب في ذلك أيضا. أما إذا انقطع الاثنان معاً، الكهرباء والماء، فماذا يكون السؤال؟!... وعلى من يكون الذنب؟!... وفي حال افتراضنا جدلاً آخر، أن الكهرباء والماء رافقانا طوال الليل والنهار، وعلى مدار الصيف، استحمنا وتكيفنا و طبخنا وأكلنا وشربنا وعدنا وتكيفنا واستحمنا ونمنا واستيقظنا وذهبنا إلى أعمالنا... ووو الخ، عندها كيف سيصبح السؤال؟ وكيف ستصبح حياتنا ونحن تسكننا الكروب والهموم والغموم ونسينا طعم الراحة من فرط أوجاعنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟! عندها فقط ستستحم الحكومة من ذنوبها العالقة، وحججها المارقة، وتستريح من لجتنا في السؤال، وتأفنا من الجواب، وعندها ربما ستكون هذه الحكومة تمثلنا ولا تمثل بنا..! لكن، مع استحالة الافتراض الثاني، ومعرفتنا الدقيقة بأنه بعيد عن أحلامنا وآمالنا، ومع كبر احتمال انقطاع الاثنين معاً، ومع استمرار كل الافتراضات المنقوصة، والمشاكل المرصوفة، والاستحقاقات القادمة والموجعة، سيبقى السؤال: ماذا تفعل الحكومة بنا؟.. ولماذا؟.. ومن يتحل الذنب حينها؟!.. متى... وبماذا... ستستحم الحكومة؟!